(١)

حتمية الاصطفاف الوطني والعربي لتحقيق العزة والكرامة وحماية المقدسات

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}،وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد:**

فقد كرم الله (عز وجل) الأمة المحمدية ، وبيّن فضلها ومكانتها ، وخيريتها بين الأمم ؛ لتعلم أنها صاحبة رسالة ومسئولية قبل أن يكون ذلك تشريفًا وتكريمًا لها ، حيث يقول سبحانه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}،كما أن عِلم الأمة بهذه الخيرية يمنحها الثقة بنفسها في مواجهة التحديات ، وفي هذا يقول تعالى:{وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

ومما لا شك فيه أن أمتنا العربية والإسلامية تواجه هذه الأيام تحديات خطيرة تحاول النيل من عزتها وكرامتها ومقدساتها ، ممايُحتم علينا اصطفافًا وطنيًّا وعربيًّا؛ لتحقيق العزة والكرامة ، وحماية المقدسات ؛ لأن الاعتداء على المقدسات اعتداء على كل القيم الإنسانية والحضارية ، ولا يولد إلا العنف والكراهية البغيضة.

إن وحدة الصف الوطني والعربي، وتوحيد الجهود ، ونبذ الخلافات واجب على الأمة في كل زمان ومكان ، وفي هذه المرحلة الحرجة أوجب ، فنحن أمام قضية تحد الوجود ، ويجب على الأمة أن تتجاوز أي خلافات ، فلا سبيل أمامنا سوى أن نكون على قلب رجل واحد ، امتثالًا لقول الله تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا..}، ويقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ).

إن وحدة الأمة واعتصامها بدينها، والحفاظ على ثقافتها وهويتها، هو سرّ بقائها، ودعامة قوتها ، والسبيل إلى نهضتها ، ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلا للأمة في تماسكها وتآزرها فقال: (مثل الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)، وعندما أراد أحد الشيوخ أن يعلم أبناءه أهمية الوحدة وأنها سبب القوة ، وخطورة الفرقة وأنها سبب الشتات والضياع ، جاء بحزمة من الحطب وقال : من يستطيع منكم أن يكسر هذه الحزمة بضربة واحدة أو بضربتين ، فحاول كل واحد منهم فلم يفلح ، ففك حزمة الحطب ووزعها على أبنائه ، وأعطي كل واحد منهم عودًا فكسره بضربة واحدة ، فقال:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا *** وإذا افترقن تكسرت أفرادًا

فأمة ربها واحد ، ودينها واحد ، ونبيها واحد ، وكتابها واحد ، وقبلتها واحدة ، ولغتها واحدة ، ينبغي أن تكون يدًا واحدة ، قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ) .

إن التفرق والاختلاف من أسباب الهزيمة والفشل والضعف ، وهو سلوك ذميم عاب الحق (تبارك وتعالى) على الأمم السابقة وقوعهم فيه بعد أن بين لهم طريق النجاة منه ، وحذرنا من اتباع نهجهم ، فقال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، وقال سبحانه:

{وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

كما أن التفرق واختلاف الكلمة يذهب مهابة الأمة من قلوب أعدائها ، ويورث الضعف والوهن، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا) ، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال : (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ) ، فقال قائل: يا رسول الله ، وما الوهن؟ قال: (حُبُّ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ) ، وهذا ملك الروم حينما رأى الخلاف الذي كان بين معاوية (رضي الله عنه) ، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، فتدانى إلى بعض بلاد المسلمين في جنود عظيمة طمعًا فيها ، فكتب إليه معاوية : (والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولأُخرجنَّك من جميع بلادك ، ولأضيقنّ عليك الأرض بما رحبت) ، ويكفي في التحذير من الفرقة أن من مات عليها مات ميتة جاهلية ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ...).

فإذا كان تحالف أهل الشر واضحًا ، فالأولى بقوى الخير والعدل والرحمة والإنسانية أن تقف صفًا واحدًا موحدًا ، فكم تحتاجُ أمتنا اليوم إلى قلوبٍ سليمةٍ منفتحة على كلِّ أبوابِ الخير ، لأن الخطر يتهددنا جميعًا وبلا استثناء ، فقوة أي دولة عربية من قوة أمتها ، وقوة الأمة العربية من تماسك جميع دولها ، وإذا كانوا يقولون : رجل فقير في دولة غنية أفضل من رجل غني في دولة فقيرة ، لأن الدولة الغنية تكفل أبناءها ، أما الرجل الغني في دولة فقيرة فهو عرضة لكثير من المخاطر ،

فإننا نقول قياسًا على هذه المقولة : إن أي دولة فقيرة أو ضعيفة تصير قوية في ضوء لحمة ووحدة عربية حقيقية ، وإن أي دولة قوية تصير ضعيفة في أمة مشتتة وغير متماسكة .

إن وحدة الأمة واصطفافها وبعدها عن التشرذم والتفرق أمر لا بديل عنه ولا مفر منه اليوم ؛ حماية للمقدسات والحرمات من أن تنتهك أو تغتصب ، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك ومدينة القدس ، فالمسجد الأقصى مسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبداية معراجه إلى سدرة المنتهى ، ربط القرآن الكريم بينه وبين البيت الحرام برباط مقدس لا ينفك إلى يوم الدين ، فقال تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

إن بيت المقدس يحتل مكانة عظيمة عند المسلمين ، وفي نصرته عز أمتنا وفي خذلانه ذلها وهوانه ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وأحد المساجد التي يشد إليها الرحال ، وبيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر ، فعَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ عَنْ أَخِيهِ ، أَنَّ مَيْمُونَةَ ، مَوْلَاةَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَ : (أَرْضُ الْمَنْشَرِ ، وَالْمَحْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ) ، قَالَتْ : أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يُطِقْ أَنْ يَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ أَوْ يَأْتِيَهُ ، قَالَ: (فَلْيُهْدِ إِلَيْهِ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ ، فَإِنَّ مَنْ أَهْدَى لَهُ كَانَ كَمَنْ صَلَّى فِيهِ) .

كما أنه يحتل مكانة عند أتباع نبي الله عيسى (عليه السلام) ، فقد ولد عيسى (عليه السلام) في بيت لحم في فلسطين ، فالمساس بالقدس هو مساس بجميع المسلمين والمسيحيين ، فتحها رسول الله روحيًّا ليلة الإسراء والمعراج ، وصلى

بالأنبياء إمامًا بالمسجد الأقصى، وافتتحها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

إن حتمية الاصطفاف الوطني والعربي والإسلامي ضرورة لبقاء الأمة وحماية مقدساتها وحفظ كرامتها وتحقيق عزتها ، وهو مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ، فنحن في أمس الحاجة أن نصطف جميعًا ، خاصة والعالم حولنا يتكتل ولا يحترم إلا الأقوياء المتحدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الاصطفاف الوطني والعربي يعنى التعاون الحقيقي من أجل البناء ، وتقوية وحدة الأمة، ومواجهة الأخطار التي تهددنا جميعًا بتكامل الجهود ، وحشد الطاقات والتكاتف ، والتعاون لاستئصال قوى الشر ، والعمل على نشر سماحة الإسلام ، وتحقيق الحياة الكريمة الآمنة ، فاللبنة ضعيفة بمفردها قوية بأخواتها في الجدار الواحد لا يسهل تحطيمها.

إن الأمة العربية الإسلامية الآن تمر بمنعطف خطير يستوجب من الجميع أن يكونوا يدًا واحدة ، والمصير العربي المشترك ، يُحتم علينا أن نكون صفًّا واحدًا ؛ لأن العوامل التي تربط بيننا من الدين واللغة والقومية العربية والجوار والمصالح المشتركة ، تلزمنا جميعًا أن نكون معًا في مواجهة التحديات.

على أن هناك مشتركًا آخر ينبغي أن نعمل من خلاله ، وهو المشترك الإنساني لدى محبي السلام ورافضي العنف والإرهاب من أحرار العالم ، مما يتطلب اصطفافًا إنسانيًّا عاجلاً وسريعًا ، لدحر قوى الشر والإرهاب ، وتحقيق السلام العالمي لصالح الإنسانية جمعاء .

اللهم وحد صفنا ، وألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا
ولا تجعل لأعدائنا علينا سبيلا